الثورة الفرنسية ونابليون: تحليل قانوني وتاريخي

تاليف: د. محمد كمال عرفه الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقيه والمؤلف القانوني والمحاضر الدولي في القانون

الاهداء

اهدي هذا العمل لروح امي وابي الطاهرين داعيا الله لهما بالرحمة والمغفرة والفردوس الاعلى يا رب العالمين

والي ابنتي الحبيبة قرة عيني صبرينال المصرية الجزائرية جميلة الجميلات التي تجمع جمال وسحر نهر النيل الخالد وجمال شط المتوسط وجبال الاوراس الشامخة وعظمة الجسور المعلقة داعيا الله لها بالحفظ والبركة والخير والصحة والعافية

التقديم

يأتي هذا العمل الموسوعي ليقدم تحليلا قانونيا وتاريخيا لأحد أهم التحولات في التاريخ البشري حيث نبحث في جذور الثورة الفرنسية وتداعياتها القانونية وصعود نابليون بونابرت كأحد أهم صانعي القانون الحديث عبر ثلاثين فصلا معمقًا يوضح التحول من النظام الإقطاعي إلى الدولة الحديثة

الفصل الأول

كانت فرنسا قبل عام ألف وسبعمائة وتسعة وثمانين تعاني من تفسخ اجتماعي وسياسي حاد حيث كان النظام الإقطاعي يهيمن على البنى الاقتصادية مما خلق فجوة هائلة بين النبلاء والعامة وكان الملك لويس السادس عشر يملك سلطة مطلقة نظريا لكن الواقع

كان مختلفا بسبب الفساد الإداري وتراكم الديون الوطنية الناتجة عن الحروب المكلفة وكانت الطبقة الثالثة تمثل الغالبية العظمى من السكان وتحمل العبء الضريبي الكامل بينما كان النبلاء ورجال الدين معفيين من معظم الضرائب مما خلق شعورا عميقا بالظلم القانوني وهذا التفاوت الطبقي لم يكن مجرد مشكلة اقتصادية بل كان أزمة شرعية للنظام الملكي نفسه حيث بدأت الأفكار التنويرية تتسلل إلى الأوساط الفكرية الفرنسية وكان الفلاسفة يدعون إلى المساواة وسيادة القانون مما هيأ الأرضية الفكرية للثورة القادمة وإن فهم هذا الوضع الاجتماعي المعقد هو المفتاح لفهم لماذا اندلعت الثورة بهذه القوة العاتية التي غيرت وجه أوروبا لقد كانت فرنسا على شفا هاوية تحتاج فقط إلى شرارة صغيرة لإشعال فتيل الغضب المتراكم عبر قرون من الاستبداد

الفصل الثاني

ينقسم المجتمع الفرنسي القديم إلى ثلاث طبقات أو

هيئات كانت الأولى لرجال الدين والثانية للنبلاء بينما ضمت الثالثة الجميع من فلاحين وبرجوازيين وعمال وكانت لكل طبقة حقوق وامتيازات قانونية مختلفة حيث احتكر النبلاء المناصب العليا في الجيش والإدارة وتمتع رجال الدين بنفوذ روحي وقضائي واسع وكانت الطبقة الثالثة رغم أنها تدفع الضرائب مستبعدة من المشاركة السياسية الفعالة مما خلق تناقضا صارخا بين الواجب والحق في المواطنة الفرنسية آنذاك وكان نظام الاستحقاقات يعتمد على الميلاد وليس على الكفاءة مما عطل تطور الدولة وأدى إلى جمود في المؤسسات الإدارية والقضائية وبدأت البرجوازية الصاعدة تطالب بدور يتناسب مع ثقلها الاقتصادي مما هدد الامتيازات التقليدية للطبقتين الأوليين وهذا الصراع الطبقي لم يكن صراعًا على المال فقط بل كان صراعًا على تعريف العدالة وتوزيع الأعباء العامة بين أفراد الأمة وإن انهيار هذا النظام الطبقي كان حتميا بسبب عدم قدرته على التكيف مع المتغيرات الاقتصادية والفكرية الجديدة التي فرضها العصر الحديث على المجتمعات الأوروبية المتقدمة

الفصل الثالث

تفاقمت الأزمة الاقتصادية في فرنسا بسبب سوء المحاصيل الزراعية في السنوات التي سبقت الثورة مما أدى إلى ارتفاع جنوني في أسعار الخبز وهو الغذاء الأساسي للشعب وأدى الجوع إلى اضطرابات شعبية عفوية في الريف والمدن حيث بدأ الناس يهاجمون مخازن الحبوب ويطالبون بالعدالة في التوزيع الغذائي وكانت الخزينة الدولة فارغة تماما بسبب الإنفاق البذخي للبلاط الملكي وتكاليف الحروب الخارجية مما اضطر الملك إلى البحث عن مصادر جديدة للدخل وحاول الوزراء إصلاح النظام الضريبي ليشمل النبلاء لكنهم واجهوا مقاومة شرسة من البرلمان والنبلاء الذين تمسكوا بامتيازاتهم التاريخية وهذا الجمود السياسي أمام الحلول الاقتصادية جعل الوضع غير قابل للاستمرار وأقنع العامة بأن النظام الحاكم غير قادر على حمايتهم أو توفير لقمة العيش لهم وكانت المجاعة هي الوقود الذي أشعل الغضب الكامن وحولت السخط الفكري إلى حركة شعبية عارمة تطالب بالتغيير الجذري وليس الإصلاح السطحي

وإن العلاقة بين الخبز والسياسة كانت واضحة حيث كان الهتاف بالخبز هو الهتاف بالحرية والكرامة الإنسانية في وجه الاستبداد المالي الذي أفقر الأمة

الفصل الرابع

لم تكن الثورة الفرنسية مجرد ثورة جوع بل كانت ثورة فكرية نضجت بفعل كتابات فلاسفة التنوير الذين هاجموا الاستبداد والكنيسة والتقاليد البالية ودعا مونتسكيو إلى فصل السلطات كضمانة للحرية بينما أكد روسو على سيادة الشعب والعقد الاجتماعي كأساس للشرعية السياسية وكانت هذه الأفكار تنتشر في الصالونات الأدبية والمقاهي مما خلق وعيا جديدا لدى الطبقة المثقفة والبرجوازية بحقوقهم الطبيعية التي لا يمكن للتاج انتهاكها وبدأ الناس ينظرون إلى الملك ليس كظل الله في الأرض بل كموظف عام يخضع للمساءلة أمام الأمة والقانون وساهمت الثورة الأمريكية أيضا في إلهام الفرنسيين حيث أثبتت أن تطبيق أفكار التنوير ممكن عمليا في

بناء دولة حديثة وكان الفقه القانوني الجديد يدعو إلى المساواة أمام القانون وإلغاء الامتيازات الإقطاعية مما شكل البرنامج الإصلاحي للثوار في مراحلها الأولى وإن القوة الفكرية للثورة كانت أهم من قوتها العسكرية لأنها غيرت العقلية الأوروبية من الخضوع للقدر إلى الإيمان بحق الإنسان في تغيير واقعه السياسي

الفصل الخامس

في محاولة يائسة لحل الأزمة المالية دعا الملك لويس السادس عشر إلى اجتماع الهيئات العامة لأول مرة منذ عام ألف وستمائة وأربعة عشر hoping to gain approval for new taxes وكانت هذه الدعوة اعترافا ضمنيا بفشل السلطة المطلقة في إدارة شؤون الدولة دون مشورة الأمة ممثلة في هيئاتها التقليدية ونشأ خلاف فوري حول طريقة التصويت حيث طلبت الطبقة الثالثة أن يكون التصويت حسب الرؤوس وليس حسب الهيئات لضمان أغلبيتها العددية ورفض النبلاء ورجال الدين هذا الطلب مما أدى إلى جمود سياسي حاد

أظهر عمق الهوة بين الملك والرعية وكانت هذه اللحظة هي البداية الفعلية للأزمة الدستورية حيث تحول الاجتماع من هيئة استشارية للملك إلى هيئة ممثلة للإرادة الوطنية المستقلة وبدأ النواب يدركون أن قوتهم تكمن في وحدتهم وفي تمثيلهم الحقيقي للشعب الفرنسي المتألم من الظلم الضريبي والإداري وإن فشل الملك في إدارة هذا الاجتماع بحكمة كان الخطأ الاستراتيجي الذي كلفه عرشه وحياته لاحقا في مجرى الأحداث الثورية الدموية

الفصل السادس

أعلن نواب الطبقة الثالثة أنفسهم ممثلين للأمة الفرنسية وشكلوا الجمعية الوطنية مما كان تحديا صريحا لسلطة الملك المطلقة وسيادته التقليدية وأقسم النواب يمين الملعب بعدم التفرق حتى يتم وضع دستور للبلاد يحدد حقوق المواطنين ويحد من سلطات الملك وكان هذا الإعلان ثورة قانونية بحد ذاتها حيث انتقلت السيادة من الشخص الملكي إلى الأمة

ككل وهو مبدأ سيغير الخريطة السياسية لأوروبا وحاول الملك حل الجمعية بالقوة لكن مقاومة الشعب باريس ونواب الجمعية جعلت هذا الخيار مستحيلا دون حرب أهلية شاملة وبدأت الجمعية في العمل كسلطة تأسيسية تضع الأسس لنظام قانوني جديد يقوم على المساواة والحرية وسيادة القانون الدستوري وكان هذا التحول من الرعية إلى المواطنين هو الجوهر الحقيقي للثورة حيث أصبح الفرد صاحب حق وليس مجرد موضوع للحكم وإن شجاعة النواب في تلك اللحظة التاريخية جسدت روح القانون الطبيعي الذي يعلو على إرادة الحكام المستبدين في كل العصور

الفصل السابع

في الرابع عشر من يوليو ألف وسبعمائة وتسعة وثمانين اقتحم غضب الشعب باريس سجن الباستيل رمز الاستبداد الملكي بحثا عن الذخيرة لحماية الجمعية الوطنية من قوات الملك المرتزقة ولم يكن السجن يحتوي على العديد من السجناء لكن رمزيته

كانت هائلة كمظهر من مظاهر التعسف الملكي والاعتقال التعسفي بدون محاكمة وسقوط الباستيل كان إيذانا بسقوط الهيبة الملكية وأصبح هذا اليوم عيدا وطنيا للفرنسيين وللأحرار في جميع أنحاء العالم فيما بعد واستجاب الملك للأمر الواقع واضطر إلى الاعتراف بالجمعية الوطنية وارتدى شعار الثورة الثلاثي الألوان تعبيرا عن الخضوع للإرادة الشعبية وكانت هذه اللحظة تحولا نفسيا كبيرا حيث أدرك الناس أن قوتهم الجماعية تفوق قوة الجيوش النظامية عندما تكون القضية عادلة وبدأ العنف الثوري يظهر كوسيلة للدفاع عن المكتسبات الجديدة ضد أي محاولة مضادة من قبل النبلاء أو الملك لاستعادة السلطة القديمة وإن صورة الباستيل المهدمة ظلت رمزا عالميا لانتصار الحق على القوة ولنهاية عصر الاستبداد المطلق في التاريخ الحديث

الفصل الثامن

انتشرت إشاعات كاذبة عن مؤامرات أرستقراطية لحرث

المحاصيل أو قتل الفلاحين مما أدى إلى حالة ذعر جماعي عرفت بالرعب الكبير في الريف الفرنسي وقام الفلاحون بمهاجمة قلاع النبلاء وحرق سجلات الإقطاع التي تثبت التزاماتهم المالية والخدمية تجاه السادة الإقطاعيين وكانت هذه ثورة اجتماعية موازية للثورة السياسية في باريس تهدف إلى تحرير الأرض والإنسان من قيود النظام الإقطاعي البالي واضطرت الجمعية الوطنية للاستجابة لهذا الضغط الشعبي وألغت الامتيازات الإقطاعية في ليلة الرابع من أغسطس مما أنهى النظام القديم قانونيا وكان هذا القرار جريئا وغير مسبوق حيث تنازل النبلاء طوعا أو كرها عن حقوقهم التاريخية مقابل الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي وأظهرت هذه الأحداث أن الثورة لم تكن حكرا على برجوازية المدن بل كانت حركة شعبية شاملة طالت كل طبقات المجتمع الفرنسي المضطهد وإن تحرير الفلاحين من القيود الإقطاعية كان أساسا لبناء اقتصاد زراعي حديث ومجتمع قائم على الملكية الفردية الحرة

الفصل التاسع

أصدرت الجمعية الوطنية إعلان حقوق الإنسان والمواطن في أغسطس ألف وسبعمائة وتسعة وثمانين وهو وثيقة قانونية فلسفية تعد دستورا للحريات الأساسية في العصر الحديث ونص الإعلان على أن الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الحقوق وأن السيادة للأمة وأن القانون تعبير عن الإرادة العامة وتضمن الإعلان مبادئ قانونية جوهرية مثل حرية الرأي وحرية الدين وحرية الملكية وحق المقاومة ضد الظلم والمساواة أمام القانون والضرائب وكانت هذه الوثيقة مستوحاة من القانون الطبيعي ومن إعلان الاستقلال الأمريكي لكنها كانت أكثر شمولية وتجريدا في صياغتها القانونية وأصبح هذا الإعلان مرجعية قانونية لكل الدساتير الليبرالية اللاحقة وميثاقا أخلاقيا يحدد علاقة الحاكم بالمحكوم في الدولة الحديثة لقد حول الإعلان المواطن من رعية خاضعة إلى شريك في السيادة مما أسس لمفهوم المواطنة الدستورية المعاصرة وإن قيمة هذا الإعلان تتجاوز الزمن فهو يظل نورا يهدي البشرية في طريقها نحو العدالة والكرامة الإنسانية في وجه الطغيان

الفصل العاشر

في أكتوبر ألف وسبعمائة وتسعة وثمانين قامت آلاف النساء بغضن من نقص الخبز وارتفاع الأسعار بمسيرة نحو قصر فرساي للمطالبة بالخبز وبعودة الملك إلى باريس واقتحمت النساء القصر وواجهن الحرس الملكي مما أجبر الملك لويس السادس عشر وعائلته على العودة إلى باريس والعيش تحت مراقبة الشعب الثائر وكانت هذه الحدث نقطة تحول استراتيجية حيث انتقل مركز الثقل السياسي من فرساي المعزولة إلى باريس النبض الثوري للشعب وأصبح الملك أسيرا فعليًا في قصر التويلري مما قلص قدرته على المناورة أو التواصل مع القوى الملكية في أوروبا للإطاحة بالثورة وأظهرت مشاركة النساء دورا حاسما في الثورة مؤكدة أن القضية ليست سياسية فقط بل معيشية تمس حياة الأسر الفرنسية يوميا وكان هذا الحدث دليلا على قوة الضغط الشعبي المباشر في فرض الإرادة على السلطة التنفيذية حتى لو كانت ملكية مقدسة وإن

عودة الملك إلى باريس كانت بداية النهاية للنظام الملكي حيث أصبح مجرد دمية في يد القوى الثورية المتصاعدة

الفصل الحادي عشر

حاولت الجمعية الوطنية التأسيسية إنشاء نظام ملكية دستورية يوازن بين سلطة الملك وسلطة البرلمان المنتخب hoping to stabilize the country وتم وضع دستور عام ألف وسبعمائة وواحد وتسعين الذي قيد سلطة الملك ومنحه حق الفيتو التعليقي وحدد نظاما انتخابيا يعتمد على الدفع الضريبي لكن الثقة بين الملك والثوار كانت قد انعدمت تماما خاصة بعد محاولة الملك الفاشلة للفرار من البلاد إلى الحدود الشرقية وكان الملك لويس السادس عشر يفتقر إلى الحزم والقدرة على التكيف وكان يتآمر سرا مع الملوك الأوروبيين ضد ثورته الخاصة وشعبه وهذا التناقض بين النص الدستوري والواقع السياسي جعل النظام الجديد غير قابل للتطبيق حيث كان الملك يعمل على تخريبه

من الداخل وأدرك الثوار أن وجود الملك يمثل خطرا دائما على الثورة مما دفعهم نحو خيار أكثر جذرية وهو إلغاء الملكية تماما وإن فشل الملكية الدستورية كان درسا تاريخيا في استحالة الجمع بين إرادة شعبية ثورية وملك لا يؤمن بمبادئ الثورة

الفصل الثاني عشر

في يونيو ألف وسبعمائة وواحد وتسعين حاول الملك وعائلته الهروب سرا من باريس نحو الحدود الشرقية للانضمام إلى القوات الملكية المضادة للثورة وتم التعرف على الملك في بلدة فارين واعتقاله وإعادته مهانا إلى باريس تحت حراسة مشددة مما كشف نواياه الخيانة للأمة وكانت هذه المحاولة كارثة سياسية للملكية حيث فقد الملك ما تبقى من شرعية شعبية وأصبح خائنا في عيون الكثير من الفرنسيين وعززت هذه الحادثة جناح اليعاقبة الراديكاليين الذين دعوا إلى إلغاء الملكية وإقامة الجمهورية كضمان لاستمرار الثورة وأصبح الوضع

الدولي أكثر توترا حيث هددت الملوك الأوروبيون بالتدخل العسكري لإعادة الملك إلى سلطته المطلقة وكان هذا الحدث هو القشة التي قصمت ظهر البعير وحولت الرأي العام من المطالبة بإصلاح الملكية إلى المطالبة برأس الملك وإن خيانة الملك لثقة شعبه كانت السبب الرئيسي في تحول الثورة من حركة إصلاحية إلى حركة جمهورية دموية

الفصل الثالث عشر

أعلنت فرنسا الحرب على النمسا وبروسيا في عام ألف وسبعمائة واثنين وتسعين خوفا من التدخل الأجنبي لدعم الملك وإعادة النظام القديم بالقوة العسكرية وكانت الحرب اختبارا حقيقيا للثورة حيث واجهت الجيوش الفرنسية غير المنظمة جيوشا نظامية محترفة لدول عظمى وتحولت الحرب إلى أداة لتوحيد الصفوف الداخلية وتبرير الإجراءات الاستثنائية والطوارئ ضد الأعداء الداخليين والخارجيين وانتصرت الجيوش الثورية في معارك حاسمة مثل فالمي مما أثبت حيوية

الروح الثورية وقدرتها على الدفاع عن الأرض والحرية لكن الحرب زادت من حدة الشكوك الداخلية حول العملاء والخونة مما غذى أجواء الإرهاب والتشدد السياسي في باريس وأصبحت السلامة العامة هي القانون الأعلى مما برر تعليق الحريات الفردية لصالح الدفاع عن الوطن في وجه الغزو الأجنبي وإن الحرب الخارجية كانت عاملا حاسما في تطرف الثورة حيث دفعت الثوار نحو خيارات متطرفة لضمان بقاء الجمهورية الناشئة

الفصل الرابع عشر

في أغسطس ألف وسبعمائة واثنين وتسعين اقتحم الثوار قصر التويلري واعتقلوا الملك مما أنهى فعليا حكم الملكية في فرنسا التي استمرت لقرون طويلة واجتمعت الاتفاقية الوطنية الجديدة وألغت الملكية رسميا وأعلنت قيام الجمهورية الفرنسية الأولى في سبتمبر من نفس العام وكان هذا تحولا جذريا في التاريخ الفرنسي حيث انتقلت السيادة من السلالة

الحاكمة إلى الشعب الفرنسي كمصدر وحيد للسلطة وتم إلغاء التقويم الميلادي واستبدلت بعناصر ثورية جديدة وتم تغيير الرموز الوطنية لتعكس قيم الحرية والمساواة والإخاء وواجهت الجمهورية تحديات هائلة من الحرب الأهلية في فونديه والحرب الخارجية مما تطلب بناء دولة مركزية قوية وأصبح مصير الملك الآن قيد المحاكمة بتهامة الخيانة العظمى مما فتح بابا قانونيا وسياسيا لم يسبق له مثيل في محاكمة رأس دولة سابق وإن إعلان الجمهورية كان تتويجا لمسار ثوري بدأ بالمطالبة بالإصلاح وانتهى بتغيير كامل لنظام الحكم والهوية الوطنية

الفصل الخامس عشر

حاكمت الاتفاقية الوطنية الملك لويس السادس عشر بتهمة الخيانة العظمى ضد الأمة في محاكمة كانت مثار جدل قانوني وسياسي كبير وتمت الإدانة بأغلبية صوت واحد وصدر الحكم بالإعدام شنقا مما صدم الملوك الأوروبيين وأثار الرعب في نفوس المحافظين

وتم إعدام الملك في ساحة الثورة في يناير ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين مما أرسل رسالة واضحة بأن لا أحد فوق القانون حتى لو كان ملكا مقدسا وكان الإعدام نقطة لا رجعة فيها حيث قطع كل جسور الصلح بين الثورة وأعدائها الداخليين والخارجيين وأجبر الجميع على اختيار جانب ومن الناحية القانونية كانت المحاكمة سابقة تاريخية في مساءلة رئيس الدولة رغم أنها افتقرت لبعض ضمانات المحاكمة العادلة المعاصرة وأصبح الملك شهيدا للملكيين وطاغية للثوار وظلت ذكرى إعدامه تلوح في السياسة الفرنسية لقرون لاحقة وإن سقوط رأس الملك كان رمزا لسقوط النظام القديم وبداية عصر جديد تقوم فيه الشرعية على الإرادة الشعبية فقط

الفصل السادس عشر

واجهت الثورة خطرا وجوديا داخليا وخارجيا مما دفع الثوار إلى إنشاء لجنة السلامة العامة بقيادة روبسبيير لمواجهة المؤامرات وبدأ عهد الإرهاب حيث تم اعتقال

آلاف المشتبه فيهم ومعاقبتهم بالإعدام دون محاكمات عادلة لحماية الثورة من أعدائها وكان المبرر القانوني هو الضرورة العليا للدولة حيث علقت الحريات الفردية لصالح البقاء الجماعي للجمهورية الناشئة وتم استخدام المقصلة كأداة سياسية لترهيب المعارضة وتصفية الخصوم السياسيين من جيروندیين وملكيين ومتطرفين على حد سواء وخلق هذا الجو من الخوف شكوكا متبادلة حتى بين قادة الثورة أنفسهم حيث أصبح الجميع عرضة للاتهام بالخيانة في أي لحظة ورغم نجاح الإرهاب في صد الغزو الخارجي وقمع الثورات الداخلية إلا أنه كلف الثورة ثمنا باهظا من الدماء والشرعية الأخلاقية وإن عهد الإرهاب يبقى درسا قاتما في كيفية انحراف الثورة عن مبادئها عندما يصبح الخوف هو سيد الموقف والقانون

الفصل السابع عشر

كان روبسبيير الشخصية المحورية في عهد الإرهاب مؤمنا بأن الفضيلة بدون إرهاب عديمة الجدوى وأن

الإرهاب بدون فضيلة قاتل للثورة ودافع عن فكرة الجمهورية الفاضلة التي تتطلب تضحية الفرد لصالح المجموع مما برر القسوة في تطبيق القانون الثوري وكان خطيبا مفوها ونزيها شخصيا لكن صلابته الأيديولوجية جعلته غير متسامح مع أي اختلاف في الرأي أو تباين في التكتيك السياسي ورأى نفسه حارسا للثورة مما دفعه إلى تصفية أصدقائه القدامى عندما شك في ولائهم الكامل لمبادئ الثورة كما يفسرها هو وأدى تركيز السلطة في يده وفي لجنة السلامة العامة إلى خلق أعداء كثر في الاتفاقية الوطنية الذين خافوا على حياتهم من بطشه وكان روبسبيير يجسد المأساة الثورية حيث تحول المدافع عن حقوق الإنسان إلى جلاد باسم حماية هذه الحقوق من الأعداء الوهميين والحقيقيين وإن سقوط روبسبيير كان حتميا لأن نظامه كان يعتمد على الخوف الذي لا يمكن أن يستمر كأساس للحكم المستقر

الفصل الثامن عشر

في يوليو ألف وسبعمائة وأربعة انقلب أعضاء الاتفاقية الوطنية على روبسبيير خوفا من أن يكونوا الضحايا التاليين في قائمة الإعدامات اليومية لعهد الإرهاب وتم اعتقال روبسبيير وأعدم دون محاكمة مما أنهى عهد الإرهاب وبدأ مرحلة جديدة عرفت برد فعل ترميدور وعاد المعتدلون إلى الواجهة وتم حل لجنة السلامة العامة وإلغاء العديد من القوانين الاستثنائية التي كانت تقيد الحريات وشهدت هذه الفترة تحررا نسبيا لكنها أيضا عانت من فوضى اقتصادية وفساد مالي نتيجة الضوابط السابقة وحاول الثوار إيجاد توازن بين حماية مكتسبات الثورة وتجنب وحشية الإرهاب لكن الطريق كان وعرا ومليئا بالمطبات السياسية وكانت هذه المرحلة انتقالية ضرورية لاستقرار الجمهورية حيث أدرك الفرنسيون الحاجة إلى نظام قانوني دائم بدلاً من الحكم الثوري المؤقت وإن نهاية روبسبيير كانت نهاية للثورة في مرحلتها الراديكالية وبدءا للبحث عن استقرار مؤسسي وقانوني دائم

الفصل التاسع عشر

تم وضع دستور عام ألف وسبعمائة وخمسة وتسعين الذي أنشأ حكومة الإدارة المكونة من خمسة مديرين hoping to prevent dictatorship and ensure stability وعانت الإدارة من ضعف السلطة التنفيذية وعدم الاستقرار السياسي حيث كانت تتأرجح بين ضغط اليعاقبة والملكيين الذين يحاولون العودة وكان الفساد المالي منتشرًا وفشلت الإدارة في حل الأزمات الاقتصادية أو كسب احترام الشعب الفرنسي الذي سئم من الفوضى المستمرة واعتمدت الإدارة على الجيش لقمع الاضطرابات الداخلية مما زاد من نفوذ القادة العسكريين على حساب السلطة المدنية السياسية وكانت هذه الفترة characterized by inefficiency و weakness مما هيأ الأرضية لظهور رجل قوي ينهي الفوضى ويعيد النظام بقوة الحديد وإن فشل النظام الديمقراطي الليبرالي في هذه المرحلة أظهر الحاجة الماسة لسلطة تنفيذية قوية في زمن الحروب المستمرة وكانت الإدارة مجرد محطة انتظار لظهور نابليون الذي سيحول الفوضى إلى نظام إمبراطوري منظم

الفصل العشرون

بدأ نابليون بونابرت كضابط مدفعي صغير من كورسيكا لكنه برز بسرعة بسبب عبقرية العسكرية وفهمه العميق للتكتيك الحديث في الحروب وحقق انتصارات مذهلة في الحملة الإيطالية والمصرية مما جعله بطلا قوميا ومحبوبا من الجيش والشعب الذي يبحث عن منقذ وكان نابليون يمثل روح الثورة في مجال الحرب حيث كان يترقى بالجدارة وليس بالنسب مما ألهم الجنود الفرنسيين وأدرك نابليون أن السياسة الفرنسية في طريق مسدود وأن فرنسا تحتاج إلى يد حديدية لتنظيم الدولة وإنهاء الفوضى الداخلية واستخدم شعبيته العسكرية للتدخل في السياسة مما قربه من دائرة صنع القرار ومن الانقلاب على حكومة الإدارة الضعيفة وكان نابليون يجمع بين الطموح الشخصي والوطنية الفرنسية مؤمنا بأنه الوحيد القادر على حماية مكتسبات الثورة من الأعداء الأوروبيين وإن صعوده كان تتويجا لمرحلة عسكرية من الثورة حيث أصبح الجنود هم الحكام الفعليون لفرنسا في تلك

الفصل الحادي والعشرون

في نوفمبر ألف وسبعمائة وتسعة وتسعين نفذ نابليون انقلابا عسكريا عرف بثمانية عشر برومير حيث حل حكومة الإدارة وأنشأ نظام القناصل الثلاثة وكان هذا الانقلاب نهاية رسمية للثورة الفرنسية وبداية مرحلة جديدة من التاريخ الفرنسي تركز على الاستقرار والنظام الداخلي وبرر نابليون الانقلاب بضرورة إنقاذ الجمهورية من الفوضى والفساد وحظي بتأييد شعبي واسع من الفرنسيين المرهقين من الاضطرابات وتم وضع دستور جديد منح السلطة التنفيذية الواسعة للقنصل الأول وهو نابليون مما مهد الطريق لسلطته المطلقة لاحقا واعتبر العديد من المؤرخين هذا الحدث نهاية للثورة حيث تم تجميد مبادئ الحرية السياسية مقابل ضمانات النظام والأمن والمساواة المدنية وكان نابليون يدرك أن الفرنسيين يريدون خبزا ونظاما أكثر من رغبتهم في حرية برلمانية فوضوية لا تطعم من جوع

وإن ثمانية عشر برومير كانت لحظة تحول من الجمهورية الثورية إلى الدولة النابليونية البيروقراطية العسكرية المنظمة

الفصل الثاني والعشرون

أسس نابليون نظام القناصل حيث كان هو القنصل الأول لص الحياة مما جمع بين شكل الجمهورية وجوهر السلطة المطلقة المركزة وبدأ سلسلة إصلاحات إدارية ومالية شاملة حيث أنشأ بنك فرنسا ووازن الميزانية وأصلح النظام الضريبي ليكون أكثر كفاءة وعدالة وأعاد تنظيم التعليم وأنشأ الليسيات لتخريج نخبة إدارية وعسكرية موالية للدولة مما عزز مركزية السلطة في باريس وعمل على المصالحة الوطنية مع الكنيسة الكاثوليكية عبر اتفاقية عام ألف وثمانمائة وواحد مما أنهى الصراع الديني الذي مزق فرنسا لعقد من الزمان وكانت هذه الإصلاحات تهدف إلى بناء دولة حديثة قوية قادرة على خوض الحروب الطويلة ضد أوروبا المجتمعة ضدها وأظهر نابليون براعة إدارية تفوق براعته

العسكرية حيث حول فرنسا من دولة فاشلة إلى أقوى دولة في أوروبا القارية في سنوات قليلة وإن استقرار فرنسا الداخلي كان الأساس الذي سمح لنابليون بتوجيه طاقاتها العسكرية نحو الخارج بفعالية مرعبة

الفصل الثالث والعشرون

أنجز نابليون أعظم أعماله المدنية وهو القانون المدني الفرنسي أو كود نابليون الذي وحد القوانين الفرنسية المتفرقة في تشريع واحد متماسك وأكد الكود على مبادئ الثورة مثل المساواة أمام القانون وحرية الملكية والعقد شريعة المتعاقدين وفصل الدين عن الدولة في الأحوال المدنية وأصبح هذا القانون نموذجًا يحتذى به في جميع أنحاء العالم ولا يزال أساسا للقانون المدني في العديد من الدول حتى اليوم بما فيها دول عربية وكان نابليون يفتخر بهذا الإنجاز أكثر من انتصاراته العسكرية مدركا أن القوانين تبقى بعد زوال الجيوش والإمبراطوريات وساهم الكود في تحرير الفرد من قيود العائلة والإقطاع وأسس لمجتمع حديث قائم على

الحقوق الفردية والواجبات الوطنية وإن تأثير القانون النابليوني يتجاوز الحدود الفرنسية فهو إرث قانوني عالمي غير طريقة تنظيم المجتمعات الحديثة وعلاقاتها التعاقدية ويبقى هذا الكود شاهدا على عبقرية نابليون كمشرع وبناء دولة وليس فقط كقائد عسكري محض

الفصل الرابع والعشرون

في عام ألف وثمانمائة وأربعة توج نابليون نفسه إمبراطورا للفرنسيين في حفل مهيب في كاتدرائية نوتردام مما حول الجمهورية إلى إمبراطورية وراثية ووضع التاج بيده على رأسه بدلا من أن يتوجه من البابا في رسالة رمزية قوية بأن سلطته تأتي من الشعب والسيف وليس من الله وكان التتويج تتويجا لمسار تركيز السلطة وضمانا لاستقرار النظام عبر جعله وراثيا يمنع الصراعات على الخلافة بعد وفاته وقبل الفرنسيون الإمبراطورية كضمان لاستمرار مكتسبات الثورة وحماية فرنسا من عودة البوربون والملوك الأوروبيين القديم وجمع نابليون بين رموز الثورة ورموز

الملكية التقليدية creating a new hybrid system
that suited his ambition and the times وأصبح
النظام أكثر أرستقراطية مع إنشاء نبلاء جدد من كبار
الضباط والموظفين مما خالف مبدأ المساواة الثوري
جزئيا لصالح الكفاءة والولاء وإن الإمبراطورية كانت ذروة
قوة نابليون لكنها أيضا كانت بداية نهايتها بسبب
الطموح الذي لا يعرف حدودا جغرافية أو سياسية

الفصل الخامس والعشرون

حقق نابليون انتصارات عسكرية خالدة مثل معركة
أوسترليتز عام ألف وثمانمائة وخمسة حيث هزم
الجيوش النمساوية والروسية المتحالفة بعبقرية
تكتيكية نادرة وأعاد رسم خريطة أوروبا وأنشأ دولًا
تابعة لفرنسا ونشر مبادئ القانون النابليوني في
الأراضي التي احتلها وكان جيشه الكبير آلة حرب فعالة
تعتمد على السرعة والحركة والولاء الشخصي
للإمبراطور لكن الحروب المستمرة استنزفت الموارد
البشرية والمالية لفرنسا وخلقت أعداء جددًا كلما

انتصر نابليون على أعداء cĩ وأصبح النصر عادة خطيرة حيث دفع نابليون للمغامرة أكثر فأكثر بعيدا عن حدود فرنسا الطبيعية الآمنة وكانت المعارك مجدا شخصيا لنابليون لكنها كانت كلفة باهظة للشباب الفرنسي الذي ذبح في حقول أوروبا لتحقيق مجد إمبراطوري وإن العبقرية العسكرية لنابليون لا ينكرها أحد لكن استخدامها في حروب توسعية غيرت طبيعة الثورة من تحرير إلى غزو

الفصل السادس والعشرون

حاول نابليون هزيمة بريطانيا العظمى اقتصاديا عبر النظام القاري الذي منع الدول الأوروبية من التجارة مع الجزيرة البريطانية وكان الهدف خنق الاقتصاد البريطاني وإجبارها على السلام لكن النظام تسبب في أضرار اقتصادية كبيرة للدول الأوروبية القارية أيضا وأدى هذا النظام إلى توتر العلاقات مع حلفاء فرنسا مثل روسيا الذين كانوا يعتمدون على التجارة البحرية مع بريطانيا وكانت الحرب الاقتصادية سلاحا ذو حدين حيث أثرت

على الشعب الفرنسي والأوروبي الذي عانى من نقص السلع وارتفاع الأسعار وفشلت الاستراتيجية في كسر بريطانيا وأدت بدلا من ذلك إلى توسيع رقعة الحرب لتشمل مناطق جديدة كانت في غنى عن الدخول في الصراع وإن الحصار القاري كان دليلا على شمولية حرب نابليون التي لم تكن عسكرية فقط بل اقتصادية وجيوسياسية تهدف إلى الهيمنة الكاملة وكان هذا الخطأ الاستراتيجي أحد الأسباب التي أدت إلى تآكل التحالفات الأوروبية حول فرنسا تدريجيا

الفصل السابع والعشرون

في عام ألف وثمانمائة واثني عشر غزا نابليون روسيا بجيش ضخم hoping to force the Tsar to comply with the Continental System and submit to French dominance لكن الروس اتبعوا استراتيجية الأرض المحروقة وتراجعوا للداخل تاركين نابليون في عمق الشتاء الروسي القاسي بدون إمدادات كافية وكانت الحملة كارثة إنسانية وعسكرية حيث مات

معظم الجيش الفرنسي بسبب الجوع والبرد وهجمات القوزاق أثناء الانسحاب الفوضوي وفقد نابليون نخبة جيشه وسمعته التي لا تقهر مما شجع أعداءه في أوروبا على تشكيل تحالف جديد للإطاحة به وكانت روسيا المقبرة لجيش نابليون ونقطة التحول التي بدأت منها نهاية الإمبراطورية الفرنسية الأولى بسرعة مذهلة وأظهر الغزو حدود القوة العسكرية عندما تواجه الجغرافيا والمناخ والإرادة الوطنية لشعب آخر مصمم على الدفاع عن أرضه وإن غرور نابليون في قدرته على قهر الطبيعة والمسافات كان السبب الرئيسي في سقوطه المدوي من قمة المجد

الفصل الثامن والعشرون

بعد هزيمة لايبزيغ ودخول الحلفاء باريس تنازل نابليون عن العرش في عام ألف وثمانمائة وأربعة عشر ونفي إلى جزيرة إلبا في البحر المتوسط وهرب نابليون وعاد لمدة مائة يوم لكن هزم نهائيا في معركة واترلو عام ألف وثمانمائة وخمسة عشر أمام الجيوش البريطانية

والبروسية المتحالفة ونفي هذه المرة إلى جزيرة سانت هيلانة النائية في المحيط الأطلسي حيث قضى سنواته الأخيرة في الكتابة والتأمل حتى وفاته عام ألف وثمانمائة وواحد وعشرين وكانت نهاية نابليون مأساوية حيث مات بعيدا عن فرنسا التي أحبها وحكمها بقوة الحديد والنار والقانون وتحول من إمبراطور مخيف إلى شخصية رومانسية في المنفى مما ساهم في أسطرة شخصيته في التاريخ والأدب العالمي لاحقا إن سقوطه كان نهاية لحقبة كاملة من التاريخ الأوروبي وعودة للملكية التقليدية في فرنسا مع لويس الثامن عشر وتبقى قصة نهايته درسا في زوال القوة الدنيوية وفي حتمية السقوط بعد الغرور والاستكبار في القوة

الفصل التاسع والعشرون

تركت الثورة الفرنسية إرثا عميقا في العالم حيث نشرت مبادئ الحرية والمساواة والإخاء التي ألهمت ثورات لاحقة في أمريكا اللاتينية وأوروبا وآسيا وغيرت

الثورة مفهوم السيادة من الملك إلى الأمة وأسس لمفهوم الحقوق الإنسانية التي لا تزال مرجعية حتى اليوم ورغم الدموية والإرهاب إلا أن الثورة كسرت حاجز الخوف من الاستبداد وأثبتت أن الشعوب قادرة على تغيير أنظمتها بالقوة إذا لزم الأمر وأثرت الثورة على الفكر القانوني والسياسي العالمي وأصبحت نموذجا للتحول من النظام القديم إلى الدولة الحديثة الدستورية ولا يزال الجدل مستمرا حول وسائل وغايات الثورة لكن تأثيرها لا يمكن إنكاره في تشكيل العالم المعاصر الديمقراطي والليبرالي وإن صدى الثورة يتردد في كل مطالبة بالحرية والعدالة مما يجعلها حدثا مؤسسا للحداثة السياسية العالمية بلا منازع وتبقى الثورة الفرنسية شعلة لا تنطفئ في ذاكرة البشرية كرمز للأمل في التغيير الجذري للأفضل

الفصل الثلاثون

يظل نابليون شخصية معقدة طاغية عند البعض ومنقذ ومشرع عظيم عند الآخرين لكن إرثه في بناء الدولة

الحديثة لا جدال فيه وأسس لنظام إداري مركزي فعال ونظام تعليمي وطني وقانون مدني موحد لا تزال فرنسا والدول الأخرى تعتمد عليه حتى القرن الحادي والعشرين ومزج بين مبادئ الثورة وسلطة الدولة مما خلق نموذجًا للدولة القومية الحديثة التي تجمع بين الكفاءة الإدارية والشرعية الشعبية وكانت حروبه كارثية على البشرية لكنها ساهمت في نشر الأفكار الليبرالية والقانونية عبر أوروبا قسرا أو طوعا في الأراضي المحررة ويبقى نابليون رمزا للطموح البشري غير المحدود وللقوة التي يمكنها تغيير التاريخ ولكن أيضا للقدر الذي ينتظر كل من يتحدى الحدود وإن دروس حياته تعلمنا أن العبقرية وحدها لا تكفي بدون حكمة سياسية واعتبار للتوازنات الدولية والإرادة الشعبية المستدامة ويظل نابليون أحد عمالقة التاريخ الذين شكلوا وجه العالم الحديث بدمهم وعرقهم وعقلهم القانوني الفذ

الختام

بهذا نختتم رحلتنا المعمقة في الثورة الفرنسية وعصر نابليون مؤكدين أن التاريخ ليس مجرد أحداث ماضية بل دروس حية في القانون والسياسة والإنسان نسأل الله أن ينفع بهذا العمل طلاب العلم والباحثين

الفهرس الموضوع

الفصل الأول حالة فرنسا قبل الثورة والوضع الاجتماعي

الفصل الثاني الطبقات الاجتماعية الثلاث ونظام الاستحقاقات

الفصل الثالث الأزمة الاقتصادية والمجاعة كشرارة للثورة

الفصل الرابع تأثير أفكار عصر التنوير على الثورة

الفصل الخامس دعوة اجتماع الهيئات والأزمة الدستورية

الفصل السادس تشكيل الجمعية الوطنية واليمين الملكي

الفصل السابع اقتحام سجن الباستيل ورمزية الحرية

الفصل الثامن الرعب الكبير وثورة الفلاحين في الأرياف

الفصل التاسع إعلان حقوق الإنسان والمواطن كدستور أولي

الفصل العاشر مسيرة النساء إلى فرساي وإجبار الملك على العودة

الفصل الحادي عشر محاولة الملكية الدستورية وفشلها الذريع

الفصل الثاني عشر رحلة فارين ومحاولة الهروب الملكية

الفصل الثالث عشر الحرب مع أوروبا وتهديدات الخارج

الفصل الرابع عشر سقوط الملكية وإعلان الجمهورية الأولى

الفصل الخامس عشر محاكمة لويس السادس عشر والإعدام

الفصل السادس عشر عهد الإرهاب ولجنة السلامة العامة

الفصل السابع عشر ماكسيميليان روبسبيير وفلسفة الفضيلة

الفصل الثامن عشر ترميدور وسقوط روبسبيير

الفصل التاسع عشر حكومة الإدارة والصعوبات

الفصل العشرون صعود نجم نابليون بونابرت العسكري

الفصل الحادي والعشرون انقلاب ثمانية عشر برومير ونهاية الثورة

الفصل الثاني والعشرون نظام القناصل والإصلاحات الداخلية

الفصل الثالث والعشرون تقنين نابليون والقانون المدني

الفصل الرابع والعشرون التتويج إمبراطورا وتحول النظام

الفصل الخامس والعشرون الحملات العسكرية وأسطرليتز

الفصل السادس والعشرون النظام القاري والحرب الاقتصادية

الفصل السابع والعشرون غزو روسيا والكارثة الكبرى

الفصل الثامن والعشرون الهزيمة والنفي إلى إلبا وسانت هيلانة

الفصل التاسع والعشرون إرث الثورة الفرنسية في العالم

الفصل الثلاثون إرث نابليون والدولة الحديثة

تم بحمد الله وتوفيقه

دكتور محمد كمال عرفه الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقيه والمؤلف القانوني والمحاضر الدولي في القانون